على ضفتي
قناة السويس

١٠

معركة السويس

.. لقد اعتقدت القيادة الجنوبية أن احتلال السويس يمكن أن يتم دون تورط في قتال عنيف. فقد كانت المدينة تبدو خالية، كما أنها بدت وكأنها لم تستعد لذلك. واليوم، فإنني حزين لأنهم فرضوا على هذه المهمة ولم أعترض عليها والسبب بسيط: ذلك أننا لم نعد نتحمل سقوط قتلى آخرين. فقد كان نجاحنا في هذه المهمة محدودا بينما كانت خسائرنا باهظة...

هكذا يختم المؤلف فصله السابع والأخير عند حديثه عن معركة السويس. السويس التي أرادوها بثمن بخس فطلبت ثمنا غاليا. ودفعوا صاغرين. وخرجوا منها أشلاء.

تأليف: ابراهيم ادات

عرض وتلخيص: حسام الدين رشاد

السويس ثمة الأبطال التي نحى كرما لها على كل تطاول فحطمت الزيف وتصدت للغزو. السويس الأبية التي أضافت في ٢٠ أكتوبر صفحة أخرى مشرقة إلى كتاب التاريخ. السويس الصامدة التي أبت فأحست فجاء بلاؤها مسك الختام.

لم تصلني بعد أية تعليمات من القيادة الجنوبية، وافترضت أن يكون هناك احتمالان تمشيا لذلك، الأول الالتزام بقرار وقف إطلاق النار، وفي هذه الحالة قد توقعت أن يجرى هناك قتال منطقة الحاجز الزراعي من أجل السيطرة على المنطقة التي تم تطهيرها وتوسيعها. أما الاحتمال الثاني فهو الاستمرار في تدمير الجيش الثالث وفي هذه الحالة أيضا فإنه ثمة ضرورة لعبور قوات إلى الضفة الشرقية خاصة بعد أن طلبت القيادة في اليوم السابق (٢٣) دراسة مناطق عبور المصريين وعما إذا كان هناك جسر كامل، أو حتى جسر يمكن إقامته. على كل، فقد أصدرت أوامري بالقرب من منتصف ليلة ٢٤ أكتوبر بالتخطيط لقتال الغد

العمل حولت رئيس الأركان ليلقه بأن أجهزة الدفاع من قوات ومعدات عند عيون موسى قوية ولا يجب لذلك محاولة احتلالها وإضافة - ومن المحتمل أن ندخل السويس عندما إذا كانت المدينة خالية.

احتلال السويس بشرط

وفي الواحدة والنصف صباحا اتصل في بالب جونن - العقيد أبرى - ليخبرني بأن مهامي في الغد هي تطهير قطاع مجموعة عتيبال واحتلال جميع مصاطب الحاجز الزراعي بقطاعي وقطع أنابيب المياه من الضفة الغربية وضواحي السويس عن الجيش الثالث بالضفة الشرقية واحتلال مدينة السويس، بشرط ألا تكون ستالينجراد!

(وقع ستالينجراد بالاتحاد السوفيتي وقد دارت عليها أكبر معركة وقعت بين الروس والألمان بنهاية عشر شهر فيها خطر حوالي ١٧٥ ألف قتيل و١٤٠ ألف أسير و١٥٠٠ دبابة و٦٥٠٠ مدفع و٧٥٠ طائرة - وقد استغرقت ٧٨ يوما وانتهت بفوز ساحق للروس وأصبحت نقطة تحول في تاريخ الحرب العالمية الثانية)

وظلت معلومات جهاز المخابرات عن المدينة فجاءتني مطابقة تقريبا لما كنا نعرفه ومن بينها وجود كتيبة كوماندوز تسيطر على جزيرة ميناء بور إبراهيم في جنوب قناة السويس وحوالى كتيبتي مشاة من قوات ٤ - ٦ التي انسحبت إلى المدينة كما عرفت أيضا أن الفرقة ١٩ نقلت إلى الضفة الشرقية سرية صواريخ مضادة للدبابات وهي التي تعاملت مع أرياه بعد الظهر. لم تكن المدينة إذن خالية. ولكن ما شاهدناه من انهيار للقوات المصرية وعمليات التطهير التي قمنا بها وإمكانات الشقة جعلني افترض أنه لن تكون هناك صعوبات عند احتلال المدينة

أعداد سريع

كانت أكبر مشكلة واجهتني هو الاستعداد السريع لشن الهجوم خاصة وأن وقف النار يوشك أن يسري في السابعة - في بداية قوات المشاة بالحاجز الزراعي ومعسكرات الشادة إلى شبه جزيرة كبريت. وبعد هذه القوات عن الدبابات التي باتت ليلة الرابع والعشرين أمام السويس. وكان عدد دبابات مجموعة العيشات يبلغ تقريبا ١٧٥ دبابة أي حوالي ٦٠ دبابة بكل لواء وكان في كل كتيبة تقريبا سرية مشاة مترجلة تنقلت على حاملات مدرعة أو شبه مجنزرات. كما بعث مشاتنا حوالى كتيبتين عملت في حالت، وكتيبة أخرى متوسطة عملت من الضفة الشرقية. وأصدرت جماعة القيادة الأمامية بالقوات أوامرها بتحرك قوات المشاة فورا إلى الألوية ونظرا لأن قرار وقف إطلاق النيران يوشك أن يحل في السابعة فقد قررت بدء العمل عند الفجر وألا أنتظر وصول قوات المشاة على أن تلحق هذه القوات بنا عند اقتحام المدينة. وفي الخامسة والثلث أعطيت الأمر بالتحرك على أن تبدأ الهجوم بقصف جوي مكثف وقذف مدفعي مركز وتحت ستار هذا القصف تتقدم الألوية فيتقدم إرياه مسافة ثمانية كم ويطهر معسكرات الجيش المصري شمال السويس ويستعد للاقتحام عند مدخل المدينة أما جابي فيتقدم غرب المدينة ويحتل المنطقة الصناعية ويتقدم إلى خليج السويس وحتى رصيف ميناء الأدبية. وتقوم قوات المستوى الثاني التابع لأرياه بالاختراق داخل بور إبراهيم وبالنسبة لجابي فقد أسندت له مهمة تطهير الحاجز الزراعي (٢٤ كم) مركزا على الجنوب على أن يستعد لاحتلال رأس جسر بالضفة الشرقية. وواجهت كتائب المشاة صعوبات بالغة في التقدم حيث إن المنطقة لم تطهر بعد. وقد زودت بعضها مدرعات العدو بعد أن وضعت عليها أعلام ولوحات معدنية مصرية إلا أنها وهي في طريقها انفجرت فيها الألغام وقام العدو بإطلاق صواريخ ساجر عليها وأوقف تقدمها

لم يستسلموا:

وحتى الثامنة والنصف من تقدم أرياه إلى مداخل المدينة مطهرا المعسكر تلو الآخر كانت المقاومة بسيطة إلا أنه أصيبت له دبابات نتيجة لكمين من صواريخ ساجر. واستعد لاقتحام المدينة منتظرا وصول قوات المشاة. كذلك وصل جابي المنطقة الصناعية ولم يواجه أية مقاومة للعدو كما قامت سرية استطلاع له بالعبور إلى شاطئ ترعة المياه الحلوة واحتلت نقطة عبور عند مداخل المدينة. كما أطلقت المدفعية النيران في عدد من صهاريج الوقود لمعامل التكرير وأعاقت سحب الدخان من التقدم فأوقفت المدفعية وعبرت كتيبة جابي على الجسر الصغير ووصلت إلى ميناء الأدبية. واستولى جابي على مفارق الطرق الواقعة غرب السويس وانتظر أرياه طويلا وصول المشاة ولكنه تأخر وصولهم الذي يعني أن تقوم كتيبة دبابات بالهجوم بالاختراق أولا حيث تقوم سرايا دبابات ومشاة مدرعة. وبعدها تدخل قوات مشاة يوساي ثم قوات حسداي. ووافقت

وألقيت على القوات المهاجمة مهمة السيطرة على مفارق الطرق الثلاثة. ثم ترعة المياه، جامع الأربعين والمثلث. وأدى تأخير الاقتحام نصف ساعة لكن يصابر يوساي الأمر ويقل

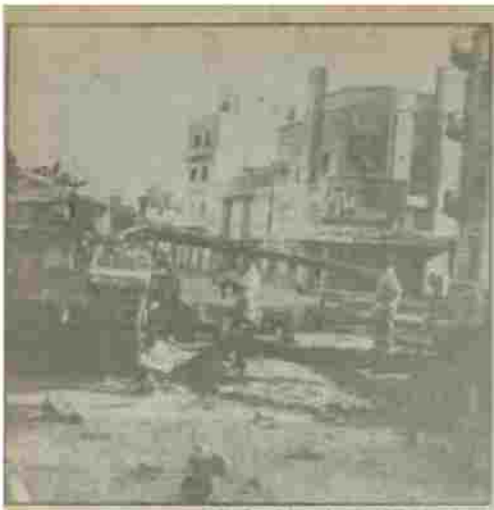

وأسيرت عليها القنابل اليدوية من فوق سطح المنازل

تقول أرباه : نحن نواجه مقاومة وسوف الوقف

وعلى الفور أمر يوساى بمغادرة المدرعات والاحتماء بقسم الأربعين

قواته. وفى التاسعة والنصف أبلغنى أرباه : أن الصورة لا تزال غير واضحة فهناك دبابات ومدافع وصواريخ مضادة للدبابات بين المنازل. نحن نواجه مقاومة وسوف أتوقف وأوجه ضربة مدفعية». وإذا كان بعد ذلك يبلغنى بنفس الشيء فى ذلك الوقت الفصل فى شكا ليبلغنى بتقدمه وتطهيره للحاجز الزراعى وأنه يتبادل النيران مع الضفة الشرقية ولديه مصابون كثيرون وعندما تقدم إلى «حالمت ٨٨» أبلغنى مرة أخرى : «إنهم لم يستسلموا ولا يزالون يحاربون». فشجعته على مواصلة تقدمه حتى لمساعدة القوات المهاجمة.

مقاومة بطولية :

وبدأ الاختراق فى العاشرة والنصف صباحا (٢٤) – وكان على رأس القوات المقتحمة كتيبة ناحوم التى تضم ٢١ دبابة و٧ مدرعات و٨ مجنزرات واستمر تقدمها داخل المدينة إلى مسافة ٢٫٥ كم داخل المنطقة السكنية حيث يبلغ ارتفاع المنازل إلى ستة وسبعة طوابق. وما إن وصلت إلى تقاطع الأربعين حتى فتحت نيران مروعة. فى دفعة واحدة ووقت واحد انطلقت عليها نيران الأسلحة المباشرة وقذائف الصواريخ المضادة للدبابات وانهمرت عليها أعداد هائلة من القنابل اليدوية من النوافذ وأسطح المنازل. كما انقض عليها المقاتلون المصريون من أبواب المنازل ومن كل جانب وصوب يشاغلونهم. وفى غضون دقائق كان قد سقط الكثير من القادة ولم يبق من ضباط الكتيبة سوى أربعة فقط. وبلغت خسائر الكتيبة حوالى ١٨ قتيلا و٤٠ جريحا، ولم ينج من المركبات إلا القليل فرت إلى الخطوط الخلفية وخرجت إلى طريق «سرينج ٩٥» حيث توقفت لإخلاء الجرحى والمصابين. واستمر المصريون فى إطلاق النيران عليهم من جميع الاتجاهات. كانت الفجوة بين كتيبة ناحوم وبين كتيبة يوساى عند الترعة الحلوة حوالى ٨٠٠ متر وما إن وصلت كتيبة يوساى إلى تقاطع الأربعين حتى استقبلها على الفور جحيم من النيران أسفر عن مقتل ثلاثة جنود وجرح الكثيرين كان من بينهم يوساى نفسه حيث أصاب صاروخ مضاد مدرعته وأصيب هو فى قدمه. وأمر يوساى بمغادرة المركبات على الفور والدخول إلى البيوت المجاورة وتولى فى ذلك الوقت قيادة الكتيبة قائد سرية شاب يدعى «دودو» الذى أمر باحتلال قسم الشرطة المكون من طابقين الذى يوجد على بعد ٢٠٠ متر جنوب الأربعين.

وعلى الفور تم إدخال المصابين إلى المبنى بالطابق الأول وصعد المقاتلون إلى الطابق الثانى. كانت كمية الذخيرة قد أوشكت على النفاد كما أن كمية المياه الموجودة معهم كانت قليلة. وكان قسم الشرطة محاطا بالمنازل بعضها من أربعة طوابق، والأخرى من خمسة ومن نوافذها أخذ القناصة المصريون يطلقون النيران عليها طوال اليوم كما كانوا يلقون بالقنابل اليدوية كذلك قاموا بمحاولات لاقتحام قسم الشرطة. وظل يوساى ورفاقه لوحدهم طوال اليوم. وتلقت القوات المحاصرة وعودا لإنقاذهم ومرت الساعة تلو الأخرى ولم تأت طوابير المدرعات التى ستنقذهم وظلت طلقات المدفعية التى انطلقت حول مبنى الشرطة هى وسيلة الإنقاذ الوحيدة التى حافظت عليهم طوال اليوم.

وكانت القوة التالية ليوساى هى قوة جيسداى. وما إن عبرت هذه القوة القناة حتى فتحت عليها النيران هى الأخرى فأمر جيسداى قواته بالاعتصام بالمنازل القريبة. وخلال دقائق كانت جماعة القيادة الأمامية بالكامل قد أصيبت بل إن نائب أرباه قد أصيب برصاصة فى رأسه وأخلى للخلف. أكثر من ذلك. فقد هربت مجنزرة مخابرات اللواء التى كانت ترافقه إلى إحدى الحارات. ودخلت بضباطها الستة وضباط الصف الآخرين فى عداد المفقودين ولم يعثر لها على أثر. وأطلقت قوة جيسداى سرية استطلاع لواء أرباه التى تقدمت على متن زلاقات. وما إن دخلت إلى مرمى النيران - حتى فاجأتها هى الأخرى النيران المصرية وخلال ثوان - استطاع المصريون إصابة ١٦ مقاتلا وأخليت هى الأخرى للخلف وهكذا أصبحت الصورة أمام أرباه : كتيبة ناحوم محطمة على محور «سرينج»، كتيبة يوساى على تقاطع الأربعين حبيسة ومحاصرة. قوة جيسداى بالترعة الحلوة ممزقة محطمة هى الأخرى. ولم تستطع قواتنا احتلال هذه الطرق فقط بل جرحت وبينها حوالى ثمانين جريحا.

محاولات إنقاذ فاشلة :

خرجت بصورة كئيبة من التقارير التى تلقيتها فى الحادية عشرة صباحا. وعلى الفور طلبت نجدة القوات الجوية إلا أن أرباه لم يكن متأكدا من أماكن القوات المحاصرة. فقررت قصف بور إبراهيم وأجزاء أخرى من المدينة ودفع كتيبة مشاة مترجلة إلى شارع سراج بالمدينة لتنضم إلى أرباه لتخفيف الضغط عليه. وحاولت الكتيبة احتلال فندق كليوباترة والمنازل العالية بوسط المدينة من أجل اللحاق بيوساى إلا أنها هى الأخرى فشلت وأصيب من الكتيبة ٢٣ مقاتلا إذ أن العدو لم يجد صعوبة فى إصابة جنود مجنزرات مفتوحة واضطرت الكتيبة إلى الفرار إلى التقاطع والعودة إلى «بوخان» خارج ميدان القتال. هنا أدركت أننا نوشك أن نحيد عن أمر القيادة القائل باحتلال السويس ما لم تكن ستالينجراد. وأمرت أرباه ألا يدخل قوات أخرى إلى قلب

هذا كان ثمن دخول السويس فادحا

ما لم تكن بغرض إنقاذ المحاصرين ، وقرر أرياه معاودة المحاولة – فأمر كتيبة بشحاق للانضمام إلى المظليين عن طريق سراج لكنها فور أن عبرت الترعة الحلوة حتى انطلقت عليها الصواريخ المضادة للدبابات فأصابت دبابة شحاق نفسه وأصيب شحاق . وعادت الكتيبة من حيث أتت . وفكرت في محاولة أخرى ، فأمرت شكا بأن يرسل كتيبة استطلاع إيوان المنبكة ويدخلها المدينة من اتجاه آخر ، من شمال شرق المدينة للحاق بقوة يوساي وإنقاذها – وبالفعل تلقى إيوان أمرا من شكا فأنهى قتاله بالحاجز الزراعي الساعة الثانية عشرة وتقدم في الثانية على محور عتاقة وتوجه هو إلى محور سراج ومعه ما يقرب من ١٥٠ جنديا أغلبهم تبع مدرعات وخمس دبابات . ظل إيوان يطلق النيران من جميع الاتجاهات مما فيها من أعلى وعلى محور سراج أطلق المصريون نيرانهم عليه ، وأدى ذلك إلى وقوع إصابات في قواته . وهناك وجد جنود جيشاي ، حيث دلوه على أماكن المصابين وأخذوا يحملون المصابين على مدرعاته وكان عددهم ستين مصابا – وبقي ٦ جرحى لم يجدوا لهم مكانا – وشقت القوة طريقها إلى الخارج وقريبا جدا من السويس على محور سراج – ضلت سرية أطباء أرياه حيث نصبت مستشفى ميدانيا بالاشتراك مع سرية أطباء دوقيق – تجمع فيها حوالي ١٤٠ جريحا

ظل الموقف كما كان عليه منذ الصباح وحتى قبيل حلول الظلام بنصف ساعة . قوات كثيرة محاصرة داخل السويس . بعضها محاصر لا يقدر على الحركة . والآخر قادر على الحركة لكنه مكبل في مكانه . خشيت أن يتفاقم موقف الدبابات داخل المدينة مع حلول الظلام . كان لابد من قرار يخرجنا من هذا المأزق . لذلك قررت إخراج ما يمكن إخراجه من القوات وأصدرت أوامري لقادة الألوية بإخراج الكتائب الموجودة بمحور «بوطان» ، وهي كتائب أهود ورومي وأبراهام وعامير . بينما بقيت داخل المدينة كتيبة جيشاي وكتيبة يوساي محاصرتان . وساءلت نفسي : أيصدر لهم الأمر بالفرار بقواتهم الذاتية ، بالتسلل ليلا . إن ذلك ينطوي على خطر جسيم خاصة وأن لديهم مصابين أتحرق مرة أخرى بالمدرعات لإنقاذهم ؟ .. لا ، إن اختراق منطقة سكنية ليلا عملية بالغة التعقيد . وبينما أنا في هذا الوضع ، تصلني معلومات عن قيام العدو بقطع الطريق ووضع أسلحة مضادة للدبابات . فرأيت من الأفضل أن يحاولوا التسلل ليلا . وأصدرت أوامري إلى أرياه بذلك . لقد كانت عملية التسلل بالنسبة لجيشاي سهلة نسبيا حيث كان قريبا جدا من خط قواتنا على بعد ٢ كم .

وكما تقدم فقد تمكن من إخلاء مصابيه حتى الرابعة ، وظل يرتب نفسه للفرار طوال النهار ومع حلول الظلام بدأ تسلله واستطاع في النهاية الفرار والوصول إلى خطوطنا في الثامنة والنصف مساء .

أما يوساي فقد كانت قواته على بعد ٤ كم من خطوطنا وكان قوامها ٩٠ فردا منهم ٢٣ جريحا . وظل يوساي طوال الوقت قلقا وحيدا ، ولم ير نائبه دودو الذي تولى قيادة القوة أية أمل في الخلاص نظرا لأنه على مسافة بعيدة بالعمق ورأى أن الأمل الوحيد هو الانتظار حتى الصباح ، حينئذ تأتي المدرعات لإنقاذه . وفشلت كل محاولات إقناعه بالتسلل . في ذلك الوقت أفاق يوساي وأيد عملية التسلل وأصدر أرياه أمره بالتسلل . وفي الثامنة والنصف مساء خرجت القوة في طريقها شمالا تحت ستار الظلمة ، وكانت تحمل نقالتين عليها الجرحى ، والبعض الآخر متوكئا على زملائه ودخلوا إلى حواري موازية لشارع سراج . وفي طريقهم مروا بتجمعات عديدة من المصريين لم تطلق النيران عليهم وفي الخامسة صباحا وصلوا إلى كتيبة شحاق . وهنا فقط تنفس جميع القادة الصعداء بعد أن احتبست أنفاسهم طوال مسيرتهم فقد كان الثمن باهظا في قتال السويس حيث وصل إلى ٨٠ قتيلا و ١٢٠ جريحا .

هزيمة أخرى :

في الوقت الذي كانت تحارب فيه قوات حنان وأرياه داخل السويس ، كان القتال يدور بين القوات المصرية بالحاجز الزراعي جنوبا وبين كتائب شكا التي حاولت احتلال الحاجز وتطهير المنطقة الممتدة من البحيرات المرة حتى ضواحي السويس فقد تجمعت جماعة القيادة الأمامية التابعة لشكا وقواته في مطار الشلوفة قريبا جدا من الحاجز الزراعي وفي المنطقة التي ظننا أنها طهرت وفجأة انطلقت عليهم دفعات متتالية من نيران الأسلحة الأوتوماتيكية والصواريخ المضادة للدبابات . وخلال ثوان كان قد أصيب نائب أرياه ونصف ضباط الأركان . لقد عكس هذا الحادث المشاكل التي واجهها شكا في الحاجز الزراعي . حيث كان يظهر فيه المرة تلو الأخرى الجنود المصريون وكان بعضهم يختبئ وراء الأشجار ، وبعضهم عبروا سباحة من شرق القناة وتسللوا إلى المناطق التي كنا قد طهرناها ، والبعض الآخر اختبأ في غرف العمليات التي لم نكتشفها في مسحنا السريع للمنطقة . فأصيبت نتيجة لذلك مدرعات قوة «حاروف» ومدرعات «بتانا» – وقد دمرنا بعض الدبابات التي اختبأت بالمنطقة الزراعية . إلا أن تطهيرها من الخنادق المصرية المتراجعة كان مستحيلا الأمر الذي استلزم الحذر والصبر . وقد عكس كل هذا ، الرائد بوريك ، قائد السرية الوحيدة التي تبقت من كتيبة عساف في الثامن من أكتوبر ، حينما روى قصة قتاله بالحاجز حيث أصابت دبابة مصرية كانت تسير على مسافة ٤٠٠ متر منه دبابته فاشتعلت فيها النيران واضطر إلى استبدال دبابته بدبابة أخرى وكانت هذه الدبابة هي السابعة التي ركبها منذ الحرب بعد تدمير دباباته الست .

خط في الغرب :

وطوال هذا اليوم ، كانت مجموعة عمليات ماجين تحارب على قطاع عريض . واستطاعت في الصباح تطهير مياه الأدبية بعد تعزيزها بلواء بولا الميكانيكي . وتمكنت في نهاية اليوم من إقامة الخط الغربي لنا الذي امتد من محور «فنامين» وحتى الكيلو ١٠١ . وذلك بعد تلقيها أيضا تعزيزات تم إسقاطها على جبل عتاقة ، وكان المرس قتال خاطفة ، هو ذلك الذي دار بمعسكرات مجرود الذي عاونتها فيه طائراتنا الحربية . وبذلك وضع ماجين الخط الغربي لنا .

أخيرا .. وقف النار :

الآن انضمت قوات ماجين إلى قائمة القوات التي أوقفت إطلاق النيران من قبل ، وهي قوات ماسون وجرانيت وشارون وكان علينا أن نستعد لاستقبال مراقب الأمم المتحدة لوضع «خطوط» وقف النيران وفي نفس الوقت فإنا نكافح الاستعداد في حالة ما إذا استأنف العدو القتال . وفي صباح الخامس والعشرين من أكتوبر وصل مراقبو الأمم المتحدة وبوصولهم استقر الأمر وتوقف إطلاق النيران إلا من بعض الأماكن وتوقفت معه حرب دامت تسعة عشر يوما طوالا ! قطعت فيها مجموعة عملياتي شوطا كبيرا من بالوظة بالضفة الشرقية ، إلى السويس بالضفة الغربية .

إنتهت

شركة الاسماعيلية للمجازر الآلية بالاسماعيلية
اسمتكو
إحدى شركات الأمن الغذائي

بأحدث الأساليب العلمية والتكنولوجية لإنتاج اللحوم ومصنعاتها
من نصر إلى نصر ... يسير الركب على بركة الله وتوفيقه
تتقدم بأخلص التهاني إلى

الرئيس المؤمن محمد أنور السادات
والمهندس مشهور أحمد مشهور
رئيس هيئة قناة السويس

بمناسبة الاحتفال الثالث لقناة السويس .